سورة
((الَّذِينَ كَفَرُوا))

((نظرة في اسمها وفي الأسماءِ المبهمة التي تضمنتها))

بحث من إعداد

الدكتور نهاد حسوبي صالح

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الانبياء والمرسلين ، وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وأصحابه المنتجبين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد : فهذا بحث يتناول الأسماء المبهمة في سورة ((الذين كفروا)) وهي : الأسماء الموصولة ، وأسماء الإشارة ، وضمائر الغيبة ، وكأيّن . وهذه المبهمات لا تتعرف إلا بغيرها، فالاسم الموصول يتعرف بصلته ، وأسم الإشارة يتعرف بالمشار إليه، والضمير المبهم يتعرف بما يعود عليه ، وكأيّن تتعرف بتمييزها . وقسم هذا البحث على عدة أقسام ، تضمن القسم الأول تسمية السورة ، وتناول القسم الثاني توضيح الأسماء المبهمة . أما القسم الثالث فتناول الآيات التي جاءت فيها عبارة ((الذين كفروا)) وأسلوب مجيئها، وتناول القسم الرابع المعاني التي تؤديها الأسماء الموصولة ، والصلة المعهودة عند المخاطب ، وتشبيه جملة الموصول بجملة الشرط ، وأمّا القسم الخامس فتناول أسماء الاشارة ، ومجيئها بالسورة ، وتناول القسم السادس التناوب بين المبهمات ، وأما القسم السابع فقد تناول الاسماء الموصولة وأسماء الإشارة عند المحدثين ، ثم ختم البحث بخاتمة .

القسم الأول

١- تسمية السورة : سميت السورة الكريمة بأسماء ثلاثة استناداً الى ما تضمنته :

أ- الأول : سورة محمد " **صلى الله عليه وآله وسلم** " :

١- بالاسم الصريح الأعظم في قوله تعالى **((وَالذِينَ آمَنُوا وَعَمِلوا الصَّالحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّل عَلى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلحَ بَالهُمْ))**(١).

٢- بـ " الرسول " في قوله تعالى **((إِنَّ الذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لهُمْ الهُدَى لنْ يَضُرُّوا اللهَ شَيْئًا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالهُمْ))**(٢).

وقوله تعالى **((يَاأَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلا تُبْطِلوا أَعْمَالكُمْ))**(٣).

٣- بضمير الخطاب في قوله تعالى **((وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلكْنَاهُمْ فَلا نَاصِرَ لهُمْ))**(٤).

وقوله تعالى **((وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالوا للذِينَ أُوتُوا العِلمَ مَاذَا قَال آنِفًا أُوْلئِكَ الذِينَ طَبَعَ اللهُ عَلى قُلوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ))**(٥).

وقوله تعالى **((فَاعْلمْ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلا اللهُ وَاسْتَغْفِرْ لذَنْبِكَ وَللمُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنَاتِ وَاللهُ يَعْلمُ مُتَقَلبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ))**(٦).

وقوله تعالى **((وَيَقُول الذِينَ آمَنُوا لوْلا نُزِّلتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا القِتَال رَأَيْتَ الذِينَ فِي قُلوبِهِمْ مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ المَغْشِيِّ عَليْهِ مِنْ المَوْتِ فَأَوْلى لهُمْ))**(٧)

وقوله تعالى **((وَلوْ نَشَاءُ لأَرَيْنَاكَهُمْ فَلعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لحْنِ القَوْل وَاللهُ يَعْلمُ أَعْمَالكُمْ* وَلنَبْلوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلمَ المُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلوَ أَخْبَارَكُمْ))**(٨).

---

(١) الآية/٢.

(٢) الآية/٣٢.

(٣) الآية/٣٣.

(٤) الآية/١٣.

(٥) الآية/١٦.

(٦) الآية/١٩.

(٧) الآية/٢٠.

(٨) الآية/٣٠،و ٣١.

٤ - بالاسم الموصول في قوله تعالى **((أَفَمَنْ كَانَ عَلى بَيِّنَةٍ مِنْ رَّبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ))**[١].

الذين كانوا على بينة، ودين، وبصيرة ويقين هم محمد **(صلى الله عليه وآله وسلم)** والمؤمنون . والبينة :الحجة والبرهان. كمن زين له سوء عمله : أي قبح عمله؛واتبعوا أهواءهم وهم المشركون والذي زين له سوء عمله هو أبو جهل .ومن هنا جمع بين الواحد والجميع، والآية على اللفظ ، ولو كان على المعنى لقيل كانوا [٢].

الثاني : سورة القتال : لذكر القتال أو ما يتصل به :

١ - قوله تعالى **((فَإِذا لقِيتُمْ الذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلكَ وَلوْ يَشَاءُ اللهُ لانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلكِنْ ليَبْلوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالذِينَ قُتِلوا فِي سَبِيل اللهِ فَلنْ يُضِل أَعْمَالهُمْ))**[٣].

٢ - وقوله تعالى **((يَاأَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنصُرُوا اللهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ))**[٤]

٣ - وقوله تعالى **((وَيَقُول الذِينَ آمَنُوا لوْلا نُزِّلتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا القِتَال رَأَيْتَ الذِينَ فِي قُلوبِهِمْ مَرَضٌ يَنظُرُونَ إِليْكَ نَظَرَ المَغْشِيِّ عَليْهِ مِنْ المَوْتِ فَأَوْلى لهُمْ))**[٥].

الثالث : سورة ((**الذّين كَفَرُوا**)) وما يقابله : أي الذين كفروا بمقابلة الذين أمنوا وقد تكررت جملة ((الذين كفروا ، أو مرادفاتها، أو ما يناقضها)).

١ - فالذين كفروا وصدّوا عن سبيل الله واتبعوا الباطل، وفي قلوبهم مرض ، وشاقّوا الرسول ، وكرهوا ما نزّل الله ، واتبعوا أهواءهم ، وماتو وهم كفار ، جزاء هؤلاء أضل أعمالهم ، وضرب الرقاب ، وشدّ الوثاق، وتعساً لهم وأحبط أعمالهم ، ولا مولى لهم ، ودمّر الله عليهم ، ويتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام،والنار مثوى لهم ،وطبع الله على قلوبهم .

٢ - والذين أمنوا وعملوا الصالحات ، وأمنوا بما أُنزل على **(صلى الله عليه وآله وسلم)** وسلم، واتبعوا الحق جزاؤهم أن كفّر عنهم ، وأصلح بالهم ، والله مولى لهم، ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار ، وسيهديهم ، ولن يضل أعمالهم .

---

(١) الآية/١٤.

(٢) ينظر معاني القرآن (الفراء) ٥٩/٣ ، وإعراب القرآن ٤ / ١٨٢ – ١٨٣ ، وتفسير ابن كثير ٢٢٠/٤ ، وتنوير المقباس / ٣١٦ ، وتفسير الجلالين / ٦٧٢ ، والتفسير بالمأثور / ٧ / ٤٥٧ .

(٣) الآية/٤.

(٤) الآية/٧.

(٥) الآية/٢٠.

القسم الثاني
الأسماء المبهمة

أ- الأسماء الموصولة ((الذين)) .

إن أبرز ما جاء في السورة عرض حال فريقين. فريق ((**الذين كفروا**)) ويقابله فريق ((**الذين أمنوا**)) وقد تكررت هذه الثنائية :

١- سبع مرات : بتجاور (**الذين كفروا**) و (**الذين أمنوا**) ، إذ ما يذكر أحدهما إلا ويذكر الأخر معطوفاً عليه بالواو ، وفي تجاور المضمونين المتناقضين والحالين المختلفين إظهار للفارق بين عملهما والجزاء الذي ينبني عليه .

٢- غير (**الذين كفروا**) و (**الذين أمنوا**) ، مما يتصل بهما مثل : ((**الذين من قبلهم**)) و ((**الذين في قلوبهم مرض**)) و ((**الذين لعنهم الله**)) و ((**الذين ارتدوا على ادبارهم**)) و ((**الذين كرهوا ما نزل الله**)) وقد قابلها ((**الذين قتلوا في سبيل الله**)) و ((**الذين أوتوا العلم**)) و ((**الذين اهتدوا**)) .

٣- غير الذين من الأسماء الموصولة كـ ((مَنْ)) و ((ما)) الموصولتين. وقد كان تكرار هذه الأسماء الموصولة المبهمة بالألفاظ المختلفة (٣١) إحدى وثلاثين مرة في حين كان مجموع آيات السورة ((٣٨)) ثمانياً وثلاثين آية .

وما لم يأت مسبوقاً بالاسم الموصول ، بل باسم الفاعل المعرف بأل في أربعة مواضع منها : اثنان ((الكافرين)) بمقابل ((المجاهدين والصابرين)) قال تعالى ((**...دَمَّرَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَلِلكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا**)) و ((**... أَنَّ الكَافِرِينَ لا مَوْلى لهُمْ**)) و ((**وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ المُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ**)).

ب- أسماء الإشارة :

وقد وردت عشر مرات :

١- خمس مرات بلفظ ((ذلك بأَنّ))[١].

٢- ومرتين بلفظ ((أُولئك))[٢].

٣- ومرة واحدة لكل من ((ذلك ولو))[٣] و ((كذلك))[٤] و ((ها أنتم هؤلاء))[١].

---

(١)تنظر الآيات / ٣ ،و ٩،و١١،و٢٦،و٢٨.

(٢)الآية / ١٦ ،و٢٣.

(٣) الآية /٤

(٤) الآية /٣.

ج – ضمائر الغيبة:

يقول سيبويه فيها ((هذا ، وهذان ... وهو وهي ... وما أشبه هذه الأسماء ... هذا عبد الله منطلقاً ... هو زيد معروفاً)) [٢].

ويقول أيضاً ((قد يكون هذا وصواحبه بمنزلة هو ... إلا أنّ هذا ليس علامة للمضمر، ولكنك أن تعرف شيئاً بحضرتك)) [٣].

وقال السيرافي ((قال المبرد : علامات الاضمار كلها مبهمة ... وانما صارت كلها مبهمة من قبل أنّ((هو)) وأخواتها ، و((هذا)) وأخواتها تقع على كل شيء)) [٤].

فالضمير مبهم؛ لأنّ به حاجة إلى ما يفسر به،وهو مرجعه الذي يتقدم عليه، أو يتقدم هو على مرجعه كما في ضمير الشأن الذي يتقدم على مرجعه،ومثاله من السورة قوله تعالى **((فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا اللهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ))**[٥] ،لأنّ المعنى : إنّ الحديث ، أو إنّ الأمر ... ((لا إله إلا الله))[٦].

أما الهاء من قوله تعالى **((أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ))**[٧] فقد عطف بالواو الجمع ((اتبعوا))، و ((أهواءهم)) على المفرد ((له))، و ((عمله))، وكان المتوقع أنْ يكون اتبع هواه، وقد أراد بهذا الأسلوب التحول إلى صيغة الجمع التي طبعت الخطاب في السورة .

د - ومن الابهام أيضاً – كأَيِّنَ –

وردت في قوله تعالى **((وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلا نَاصِرَ لَهُمْ))**[٨].

كأيّن لفظ للإبهام كناية عن الكثرة في العدد [٩].

---

(١) الآية/٣٨.

(٢)الكتاب ٢ / ٧٧ -٧٨ .

(٣)المصدر نفسه ٢ / ٨٠ .

(٤)هامش الكتاب ٢ / ٧٧ .

(٥) الآية/١٩.

(٦)ينظر المقتضب ٢ / ١٤٤ والمغني / ٥٤٣ .

(٧) الآية/١٤.

(٨) الآية/١٣.

(٩)ينظر المغني / ٢٠٣ .

القسم الثالث

الأيات التي جاءت فيها عبارة
((الذين كفروا وصدّوا عن سبيل الله)) وأسلوب مجيئها

تكررت ثلاث مرات في الآيات : الأولى ، والثانية والثلاثين ، والرابعة والثلاثين:

أ-بدئت السورة بـ **((الذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ أَضَلَ أَعْمَالَهُمْ))**[١] وأتبعت بـ **((وَالذِينَ آمَنُوا وَعَمِلوا الصَّالحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّل عَلى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلحَ بَالهُمْ))**[٢] . ثم أتبع الأيتين بـ ((ذلك بأن)) ليشير إلى سبب الإضلال في الأية الأولى ، والتكفير عن السيئات في الآية الثانية بقوله تعالى **((ذَلكَ بِأَنَّ الذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا البَاطِل وَأَنَّ الذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلكَ يَضْرِبُ اللهُ للنَّاسِ أَمْثَالهُمْ))**[٣].

ب- وردت مؤكدة بـ ((إنّ)) : **((إِنَّ الذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَشَاقُّوا الرَّسُول مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لهُمْ الهُدَى لنْ يَضُرُّوا اللهَ شَيْئًا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالهُمْ))**[٤]ويتبعها بقوله تعالى **((يَاأَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُول وَلا تُبْطِلوا أَعْمَالكُمْ))**[٥].

ثم يتبع الآيتين السابقتين بقوله تعالى **((إِنَّ الذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلنْ يَغْفِرَ اللهُ لهُمْ))**[٦].

يلحظ التناسب فيما تكرر من جملة ((الذين كفروا وصدّوا عن سبيل الله)) **فالتكرارالأول**: كان الذكر من غير توكيد وأنّ جزاء صدودهم عن سبيل الله الإضلال ؛ لأنّهم

---

(١) الآية/١.
(٢) الآية/٢
(٣) الآية/٣
(٤) الآية /٣٢.
(٥) الآية/٣٣.
(٦) الآية/٣٣

اتّبعوا الباطل ، **أما التكرار الثاني** فقد كان مؤكدا بـ ((إنّ)) وقد زادوا على ما تقدم بأن ((شاقّوا الرسول)) و ((من بعد ما تبيّن لهم الهدى)) فسيضرون أنفسهم ، وستحبط أعمالهم .

أَمّا التكرار الثالث فقد جاء مؤكداً بـ ((إنّ)) ويتبع الجملة نفسها بـ ((ثمّ)) الدالة على التريث والمهل ((**ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ**)) فقد أصروا ولم يتراجعوا ، وقد أدركهم الموت فكان جزاؤهم ((**فَلَنْ يَغْفِرَ اللهُ لهُمْ**)) ؛ لأنّهم كفروا بتوحيد الله وصدّوا الناس عن الإيمان وهذه هي الأولى .

أما الثانية: فقد زادوا مشاقّة الرسول في عناده ومعاداته ، وبعد أن تأكّد لهم أنّه رسول الله كان الخبر والنتيجة لن يضروا الله إنما يضرون أنفسهم . وفي الثالثة اليأس ((**مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ**))، فزاد على التوكيد بـ ((إنّ)) الفاء مع الجواب ، فالإصرار على الكفر الذي لا تراجع عنه حتى هلاكهم ، فناسب البناء المعنى المتدرج الذي أريد من السورة ، ويلحظ أنّ الخبر في ((أنّ)) جملة فعلية فعلها ماض ((اتّبعوا الحقّ))[1] في الأولى ، ومضارع مسبوق بـ ((لن)) ((لن يضروا الله شيئاً))[2] في الثانية ، ومضارع مسبوق بـ ، ((فلن)) ((فلن يغفر الله لهم))[3] في الثالثة .

ج- عطف المخالف لإظهار التناقص بين ((الذينَ كَفَرُوا)) و((الذينَ آمنُوا)):

١ -قوله تعالى **((الذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ أَضَل أَعْمَالهُمْ))**[3].

((وَالذِينَ آمَنُوا وَعَمِلوا الصَّالحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّل عَلى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلحَ بَالهُمْ)) [4].

٢ -وقوله تعالى **((ذَلكَ بِأَنَّ الذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا البَاطِل وَأَنَّ الذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلكَ يَضْرِبُ اللهُ للنَّاسِ أَمْثَالهُمْ))**[5].

٣ -وقوله تعالى **((فَإِذا لقِيتُمْ الذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلكَ وَلوْ يَشَاءُ اللهُ لانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلكِنْ ليَبْلوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالذِينَ قُتِلوا فِي سَبِيلِ اللهِ فَلنْ يُضِل أَعْمَالهُمْ))**[6].

٤ -وقوله تعالى**((يَاأَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنصُرُوا اللهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ))**[1].

---

(١)الآية / ٣ .

(٢)الآية /٣٢.

(٣) الأية / ٣٤ .

(٣) الآية/١.

(٤) الآية/٢.

(٥) الآية/٣.

(٦) الآية/٤.

و((وَالذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لهُمْ وَأَضَل أَعْمَالهُمْ))[٢].

٥- وقوله تعالى ((ذَلكَ بِأَنَّ اللهَ مَوْلى الذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الكَافِرِينَ لا مَوْلى لهُمْ))[٣].

٦-وقوله تعالى ((إِنَّ اللهَ يُدْخِل الذِينَ آمَنُوا وَعَمِلوا الصَّالحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَالذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلونَ كَمَا تَأْكُل الأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لهُمْ))[٤].

٧-وقوله تعالى ((وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالوا للذِينَ أُوتُوا العِلمَ مَاذَا قَال آنِفًا أُوْلئِكَ الذِينَ طَبَعَ اللهُ عَلى قُلوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ)) [٥]

و((وَالذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ))[٦] .

(١) الآية/٧.

(٢) الآية/٨.

(٣)الآية/١١.

(٤) الآية/١٢.

(٥) الآية/١٦.

(٦) الآية/١٧.

القسم الرابع
المعاني التي تؤديها الأسماء الموصولة

أ- وردت هذه الأسماء لتضع الجمل محل الأسماء ، إذ كنّي عن الأعلام بالأسماء الموصولة وصلاتها ، وكانت كذلك ؛ لأنها معلومة عند المخاطبين. قال الرضي: ((الموصولات معارف وضعاً ... أنْ يطلقها المتكلم على المعلوم عند المخاطب ، وهذه خاصة المعارف ... وأنّ تعريف الموصول بوضعه معرفة مشاراً به الى المعهود بين المتكلم والمخاطب بمضمون صلته)) [١].وذلك ان الموصول ((اجتلب ليتوصل به الى وصف المعارف بالجمل)) [٢].وهذا يعني ((انه جيء به ليفصل بين أن يريد ذكر الشيء بجملة قد عرفها السامع له ...وبين أن لا يكون الأمر كذلك))[٣].

ونجد فرقاً في التعبير بين التعريف بـ(أل) والتعريف بـ((الاسم الموصول)) فاذا قيل : الكافرون أضل أعمالهم ، والمؤمنون كفّر عنهم سيئاتهم ، وأصلح بالهم في مقابل : ((الذين كفروا ... أَضَل أعمالهم)) و((الذين أمنوا ... كفر عنهم سيئاتهم ، وأصلح بالهم)). فالأول إخبار لمن لم يبلغه ولم يعلمه أصلاً . أما الثاني فينبغي السامع أن علم بها قبلاً . قال الجرجاني ((... ليس المعنى في قولك : هذا الذي قدم رسولاً من الحضرة كالمعنى إذا قلت: هذا قدم رسولاً من الحضرة . ولا الذي يسكن في محلة كذا كقولك: هذا يسكن محلة كذا . وليس ذاك إلا أنك في قولك: هذا قدم رسولاً من الحضرة ، مبتدىء خبراً بأمر لم يبلغ السامع، ولم يبلغه ، ولم يعلمه أصلاً ، وفي قولك : هذا الذي قدم رسولاً ، معلم في أمر قد بلغه ،... الجملة مع الذي ... ينبغي أن تكون جملة قد سبق السامع علم بها))[٤].

ويقول أيضاً : ((اذا كان قد عرف رجل بقصة، وأمر جرى له ، فتخصص بتلك القصة ، وبذلك الأمر عند السامع ، ثم أريد القصد اليه ذكر - الذي- تفسير هذا : أنك لاتصل – الذي – إلا بجملة من الكلام قد سبق من السامع علم بها ، وامر قد عرفه))[٥].

---

(١) شرح الرضي ٣/٧-٨ .

(٢) ينظر الإيضاح في شرح المفصل ٤٨٢/١ .

(٣) دلائل الاعجاز ١٣٣ .

(٤) دلائل الإعجاز ١٣٣-١٣٤.

(٥) دلائل الإعجاز ١٣٣ .

وجاء في بدائع الفوائد ((**صِرَاطَ الذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ المَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالينَ**))[1] دون أَن يقول : صراط النبيين والمرسلين ... كونهم من المنعم عليهم هو بهدايتهم الى هذا الصراط فيه صاروا من أَهل النعمة . وهذا كما يعلق الحكم بالصلة دون الاسم الجامد لما فيه من الإنعام باستحقاق ما علق عليها من الحكم بها ، وهذا كقوله تعالى ((**الذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ**))[2] . و((**وَالذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُوْلئِكَ هُمْ المُتَّقُونَ**))[3] و((**إِنَّ الذِينَ قَالوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ**))[4] فهذا الباب مطرد ، فالإتيان بالاسم موصولاً على هذا المعنى من ذكر الاسم الخاص))[5].

أن الحكم متعلق بالصلة. أي أنَّ ((الذين كفروا وصدّوا عن سبيل الله أضل أعمالهم)) . أضل أعمالهم تعلق بكفروا ، وصدّوا عن سبيل الله تعلق الفعل بالفعل بوساطة الاسم الموصول دون الاسم الجامد الذي ناب عنه الاسم الموصول .

ويذكر سيبويه هذه النيابة، او التعلق بقوله ((الذي يأتيني فله درهمان لم جاز دخول الفاء هاهنا ، والذي يأتيني بمنزلة عبد الله وأنت لا يجوز لك أن تقول: عبد الله فله درهمان ؟ فقال الخليل انما يحسن في الذي ؛ لأنه جعل الأخر جواباً للأول ، وجعل الأول به يجب له الدرهمان ، فدخلت الفاء هاهنا ، كما دخلت في الجزاء اذا قال : إن يأتيني فله درهمان . وان شاء قال :الذي يأتيني له درهمان، كما تقول عبد الله له درهمان)) [6].

وربّما أفاد الدكتور فاضل السامرائي من جملة ((يجب له درهمان)) لوجود الفاء ليميز بين الآية /٣٢ ((**إِنَّ الذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ الهُدَى لَنْ يَضُرُّوا اللهَ شَيْئًا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ**)) والأية/٣٤ ((**إِنَّ الذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ**)) إذ يقول ((... جرّد الأولى من الفاء وجاء في الثانية بالفاء تأكيداً وذلك لأنّهم ماتوا وهم كفّار))[7].

ب- الصلة المعهودة عند المخاطب :

---

(١) الفاتحة/٧.

(٢) البقرة/٢٧٤.

(٣) الزمر /٣٣.

(٤) الأحقاف/١٣.

(٥) بدائع الفوائد/١٧/٢ .

(٦)الكتاب ١٠٢/٣-١٠٣ .

(٧)معاني النحو ٤ / ٥٠٧ .

بما كان هذا الاسم مبهماً فانّ ((الصلة توضح إبهام الاسم الموصول وأنه معرفة كالأعلام .... وأن الصلة موضحة للاسم ... والذي يأتيني بمنزلة عبد الله...)) [1]. أو((هي الأسماء التي تحتاج غيرها . أي تكمل بحشو ، أو وصف ، أو صلة))[2].

قال ابن الحاجب : ((كل اسم موصول فقياسه أنْ يتعرف به ما بعده))[3].

فالاسم الموصول يلفت ذهن المخاطب لصلته التي بعده منتظراً لها إذ فيها الفائدة . فإن قيل جاء الذي ، ولم يتم الموصول بصلته فلا فائدة من هذه الجملة ، وهي ناقصة بنقصان الاسم الموصول ومحوجة إلى ما يحتاجه هذا الاسم ، فلابد للجملة السابقة من أن يعرّف موصولها ، فان قيل : جاء الذي أرسلته إليّ ، تمت هذه الجملة . قال ابن يعيش ((أن لا يتم [الاسم الموصول] بنفسه ويفتقر إلى كلام بعده تصله به ليتم أسماً ، فالموصول وحده اسم ناقص الدلالة ، فاذا جئت بالصلة قيل : موصول حينئذٍ))[4].

وفي سورة ((الذَين كَفَروا)) كانت أكثر الصلات جملاً فعلية وضعت موضع الأعلام . فالذين كفروا هم من أمثال أبي جهل وأبي لهب ، وأمية بن خلف وغيرهم ، ولم يذكرهم بأسمائهم ، بل عرّفهم بأفعالهم أو صفاتهم[5]وكما يأتي :

١- ((الذين كفروا)) ومرادفاتها وكانت صلاتها جملاً فعلية :

أ- الذين كفروا أربع مرات ، والذين صدّوا عن سبيل الله ،والذين كفروا وصدّوا عن سبيل الله وماتوا وهم كفار ، والذين طبع الله على قلوبهم ، والذين لعنهم الله ، والذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبيّن لهم الهدى ، والذين كفروا وصدّوا عن سبيل الله وشاقّوا الرسول من بعد ما تبيّن لهم الهدى .

ب- أو جملة اسمية :

((الذين في قلوبهم مرض)) مرتين .

ج- أو شبه جملة : ((الذين من قبلهم)) .

٢- الذين أمنوا والذين اهتدوا ، ولم تأت إلا جملاً فعلية :

---

(١)المقتضب ١ / ١٣ ، وينظر الكتاب ١ / ٤٥٣ .

(٢)الكتاب ٤ / ٢٢٨ .

(٣)امالي ابن الحاجب ٨٦١/٢ ، وينظر المفصل / ١٤٣.

(٤) شرح المفصل ٢ / ١٥٠.

(٥) ينظر:إشارات الإعجاز /٩٢-٩٣،وتفسير ابن كثير ٢١٩/٤.

الذين أمنوا وعملوا الصالحات ، والذين أمنوا ست مرات ، والذين اهتدوا .

يتضح مما سبق كثرة تكرار الذين كفروا ، وكثرة مرادفاتها ، وكثرة تنوع جملها .

٣- وغير الذين كفروا ، والذين آمنوا، ومرادفاتهما: **((وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُوْلَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ))**[١] و **((ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الأَمْرِ وَاللهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ))**[٢].

نخلص إلى أن تعريف الاسم الموصول بالجملة، أو شبهها ((وأنه اجتلب ليتوصل به إلى وصف المعارف بالجمل ، وأنّه جيء به ليفصل بين أن يراد ذكر الشيء بجملة قد عرفها السامع وعهده قبل ذكر الموصول من اتصافه بمضمون الصلة إلا في مقام التهويل والتفخيم))[٣].

وقد شبهه الدكتور فاضل السامرائي بـ ((أل)) ((العهدية التي تعرّف المفردات ، وقد يراد به الجنس ، فلا تكون صلته معهودة... وقد يراد تعظيم الموصول فتبهم صلته فلا تكون معهودة ، ولا تفيد الجنس ... فيتبيّن من هذا أن الاسم الموصول شبيه بأل المعرّفة غير أن ((أل)) تدخل على المفردات ، والأسم الموصول يدخل على الجمل ، ولا يمكن التعريف بالجملة إلاّ عن طريق الأسم الموصول))[٤].

وجاء في شرح التصريح ((فالمعهودة كجاء الذي قام أَبوه ، إذا كان بينك وبين مخاطبك عهد في شخص قام أَبوه ، والمبهمة نحو **((فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنْ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ))**[٥].والمرجع في ذلك إلى الموصول ، فإن أريد معهوده فصلته معهودة ... وإن أريد به الجنس فصلته كذلك نحو **((وَمَثَل الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لا يَسْمَعُ إِلا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَعْقِلونَ))**[٦]. وإن أريد به التعظيم أبهمت صلته نحو : **((فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى))**[٧]))[٨]

---

(١) الآية/١٦.

(٢) الآية/٢٦.

(٣) شرح التصريح ١ / ١٤١ .

(٤) معاني النحو ١ / ١٣١ – ١٣٢ .

(٥) طه/٧٨.

(٦) البقرة /١٧١.

(٧) النجم/١٠.

(٨) شرح التصريح ١/١٤١.

فالصلات في السورة الكريمة هي المعهودة المعروفة عند المخاطبين وهم جماعة لهم قصصهم ، وما جرى منهم ثم قصدوا بالموصول ، ليذكروا بالجمل ، فكأنه كنّى عن هؤلاء بأفعالهم ، وأشار بها إليهم .

ج- تشبيه الجملة المبدوءة بالاسم الموصول بجملة الشرط :

جاء في شرح التصريح في سياق تقديم المبتدأ وجوباً : ((و... لازم الصدر، أو مشبهاً به أي بما يستحق التصدير : نحو الذي يأتيني فله درهم ، فالذي مبتدأ وهو اسم موصول ، ويأتيني صلة ، وجملة فله درهم خبره وهو واجب التأخير [الخبر] فإنّ المبتدأ هنا وهو الذي : مشبّه باسم الشرط لعمومه وإبهامه واستقبال الفعل الذي بعده : وهو يأتيني ، وكونه أي الفعل الذي بعده سبباً لما بعده وهو جملة الخبر ، كما أن الشرط سبب للجواب ، ولهذا الشبه دخلت في الخبر ، كما تدخل في الجواب لتفيد التنصيص على أن استحقاق الدرهم مسبب عن الإتيان، فلو لم تذكر الفاء احتمل ذلك ، واحتمل الاقرار [الخبر]))[1].

وجاء في سؤال سيبويه شيخه الخليل ((وسألته عن قوله : الذي يأتيني فله درهمان ، لم جاز دخول الفاء هاهنا ، والذي يأتيني بمنزلة عبد الله ، وأنت لا يجوز لك أن تقول : عبد الله فله درهمان ؟ فقال : إنما يحسن في الذي ؛ لأنّه جعل الأخر جواباً للأَول ، وجعل الأول به يجب له الدرهمان فدخلت الفاء هاهنا ، كما دخلت في الجزاء ، إذ قال : إن يأتني فله درهمان ، وإن شاء قال :

الذي يأتيني له درهمان ، تقول : عبد الله له درهمان))[2].

نفهم من هذا إمكانية إبدال عبد الله من الذي يأتيني ، استناداً إلى : عبد الله له درهمان ، والذي يأتيني له درهمان ، ولا يجوز إبداله من : الذي يأتيني فله درهمان ، لوجود الفاء ، ولوجود هذه الفاء أمكن الإبدال بالجملة الشرطية المبدوءة بالأداة المختصة بالشرط .

ويقول ابن هشام في هذه الفاء ((كما تربط الفاء الجواب بشرطه كذلك تربط شبه الجواب بشبه الشرط ، وذلك في نحو : الذي يأتيني فله درهم ، وبدخولها فهم ما أراده المتكلم من ترتب لزوم الدرهم على الإتيان ، ولو لم تدخل احتمل ذلك وغيره))[3].

الذي نستخلصه مما تقدم لزوم الخبر للمبتدأ بوجود الفاء لزوم الجزاء للشرط ،ولا يحتمل غيره في قوله تعالى المتقدم .

---

(١)المصدر نفسه ١ / ١٧٣ – ١٧٤ .

(٢)الكتاب ١ / ٤٥٣ ، و ٣ / ١٠٢.

(٣)المغني / ١٧٨ .

القسم الخامس
أسماء الإشارة

هي أسماء يشار بها إلى محسوس ومشاهد ، أو أن تكون كالضمير الغائب الذي له مفسر يعود عليه . قال محمد الخضر حسين ((... اسم الإشارة قد يشار به إلى محسوس حاضر ، وهذا يستغنى بالإشارة الحسيّة على أن يقدم في الكلام ما يشار إليه ، إذا ما اشير إلى أمر معقول أو شخص غائب عن حضرة الخطاب، فهذا حكمه حكم الغائب في احتياجه إلى مرجع يفسّره))[١]. ومن هذا في السورة:

١ - ((ذَلك بأَنّ)) إشارة إلى المتقدم ذكره الذي يعود عليه اسم الاشارة في بيان علته وقد تقدم هذا القول آية، أو آيتان :

أ-**((الذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ أَضَل أَعْمَالهُمْ* وَالذِينَ آمَنُوا وَعَمِلوا الصَّالحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّل عَلى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلحَ بَالهُمْ* ذَلكَ بِأَنَّ الذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا البَاطِل وَأَنَّ الذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلكَ يَضْرِبُ اللهُ للنَّاسِ أَمْثَالهُمْ))**[٢].

ب- **((وَالـذِينَ كَفَـرُوا فَتَعْسًـا لهُـمْ وَأَضَـل أَعْمَـالهُمْ* ذَلـكَ بِـأَنَّهُمْ كَرِهُـوا مَـا أَنـزَل اللهُ فَـأَحْبَطَ أَعْمَالهُمْ))**[٣].

ج-**((أَفَلمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَللكَافِرِينَ أَمْثَالهَا* ذَلكَ بِأَنَّ اللهَ مَوْلى الذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الكَافِرِينَ لا مَوْلى لهُمْ))**[٤].

---

(١)بلاغة القرآن/٨٤ .

(٢) الآية/١-٣.

(٣) الآية/٨.

(٤) الآية/١٠،و١١.

د-((إنّ الذِينَ ارْتَدُّوا عَلى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لهُمْ الهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّل لهُمْ وَأَمْلى لهُمْ* ذَلكَ بِأَنَّهُمْ قَالوا للذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّل اللهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الأَمْرِ وَاللهُ يَعْلمُ إِسْرَارَهُمْ))[١].

هـ-((فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمْ المَلائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ* ذَلكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالهُمْ))[٢].

يبدو من الآيات القرآنية السابقة أنّ (ذلك) للربط . أي أنها تعيد ما بعدها إلى ما قبلها كضمير الغائب الذي يرتبط بما قبله ليكون مفسّراً له . قال الزمخشري ((إنّ أَسماء الإشارة تقرب من الضمائر فيما يرجع إلى عود الذكر))[٣].

٢-((أولئك)) : الإشارة به إلى المبعدين الملعونين المذمومين ، وكأنهم تميّزوا بصفتهم وفعلهم المشار إليه :

أ- ((وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالوا للذِينَ أُوتُوا العِلمَ مَاذَا قَال آنِفًا أُوْلئِكَ الذِينَ طَبَعَ اللهُ عَلى قُلوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ))[٤]. عاد اسم الاشارة إلى الضمير ((منهم من يستمع)) وقد كنّى عن المنافقين بـ((طبع الله على قلوبهم))، ولم يصرّح في بيان حالهم من عدم التعاطي مع الإيمان ،وأسبابه من الإفادة من الأستماع إلى النبي(صلى الله عليه وآله وسلم)[٥].

ب- ((وَيَقُول الذِينَ آمَنُوا لوْلا نُزِّلتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا القِتَال رَأَيْتَ الذِينَ فِي قُلوبِهِمْ مَرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ المَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنْ المَوْتِ فَأَوْلى لهُمْ))[٦] ((أُوْلئِكَ الذِينَ لعَنَهُمْ اللهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ))[٧].

٣- ((ها أنتم هؤلاء)) الإشارة به إلى القريب :

قال تعالى ((هَاأَنْتُمْ هَؤُلاءِ تُدْعَوْنَ لتُنفِقُوا فِي سَبِيل اللهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَل وَمَنْ يَبْخَل فَإِنَّمَا يَبْخَل عَنْ نَفْسِهِ وَاللهُ الغَنِيُّ وَأَنْتُمْ الفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلوْا يَسْتَبْدِل قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالكُمْ))[٨]. إشارة إلى القريبين وإلى قصورهم بسبب بخلهم[١]. أريد باسم الاشارة ((هؤلاء)) الاسم الموصول ((الذين)) وهو رأي ثعلب ، وينسب الى الكوفيين ، وأخذ به الزمخشري وغيره.

---

(١) الآية/٢٥،و٢٦.

(٢) الآية/٢٧،و٢٨.

(٣)الكشاف / ٣٦٠ .

(٤) الآية/١٦.

(٥) ينظر تفسير ابن كثير ٢٢٠/٤ وتنوير المقباس / ٣١٦ ، وتفسير الجلالين / ٦٧٣ .

(٦) الآية/٢٠.

(٧) الآية/٢٣.

(٨) الآية/٣٨.

وقال الزجاج ((قال ثعلب : هؤلاء في معنى الذين ... كأنه قال ... أنتم الذين ... كما قال ابن مفرغ[٢]:

عَدَسْ مَا لعبّادٍ عَليكِ إمارةٌ أَمنْتِ وهذا[٣] تَحْمِلينَ طَليقُ))[٤]

لكن الفرّاء يجعل – هؤلاء – للتقريب تنصب الخبر كما ينصبه الفعل الناسخ ، وعنده أنّها مثل : **((قَالَتْ يَاوَيْلَتَا أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لشَيْءٌ عَجِيبٌ)** [٥]. و ((شيخاً)) عند الكوفيين منصوب بـ ((هذا)) على التقريب إذ يقول ((يقولون : أين أنت ؟ فيقول القائل : ها أنا ذا .. وكذلك التثنية والجمع ، ومنه ((ها أنتم هؤلاء)). فإذا كان الكلام على غير تقريب .. فيقولون : هذا هو.. ، والتقريب لابد فيه من فعل [خبر] لنقصانه ، وأحبّوا أن يفرّقوا بين معنى التقريب ومعنى الاسم الصريح))[٦].

وربّما عدل في الأية الكريمة من الاسم الموصول إلى اسم الإشارة لمراعاة ما أنسجم من تكرار في السورة بـ ((الذين كفروا)) و((الذين أمنوا))؛ لأنّ هذا الموضع خالف المعنيين ، فالذي هنا المقدرة ليست من ((الذين كفروا)) ولا من ((الذين أمنوا)) ، إنّما هم الذين يبخلون ويمنعون أموالهم من أن تنفق في سبيل الله .

وقد سبق اسم الإشارة بـ ((ها)) التنبيه التي تكررت مع اسم الإشارة نفسه مرّة أخرى ، وبين التكرارين ضمير الخطاب – أنتم – وأحيط هذا التركيب بضمائر الخطاب : ((يسألكم أموالكم ، إن يسألكموها فيحفكم تبخلوا ويخرج أضغانكم ...)) وتبعه ((منكم ، وغيركم ، وأمثالكم)) فضلاً عن ((تدعون ، لتنفقوا ...)) . إذ بعد الاستدعاء بالخطاب والمواجهة والحضور والإشارة ، يجدكم قوماً أخرين غير أولئك الذين يفترض أن يكونوا مؤمنين ؛ لأنكم انقلبتم كـ ((أنكم قوم أخرون غير أولئك المقربين تنزيلاً لغير الصفة منزلة تغيّر الذات كما تقول : رجعت بغير الوجه الذي خرجت به))[٧].

---

(١) ينظر تفسير ابن كثير ٤ / ٢٢٣ ، وتنوير المقباس / ٣١٦.

(٢) شعرابن مفرّغ الحميري /١١٥.

(٣)جاء في المغني (هامش المحقق الخامس ((وقال الكوفيون هذا اسم موصول بمعنى الذي ..)) المغني/٦٠٢ .

(٤)اعراب القرآن المنسوب إلى الزجاج ١ / ٢١٣ ، وينظر الكشاف /١٠٢٣ ، ومجمع البيان ١٩٥/١ ، والبحر المحيط ٨ / ٨٦ .

(٥) هود/٧٢.

(٦) معاني القرآن ١ / ٢٣٢ ، وينظر النكت ١ / ٦٥٣ – ٦٥٤ .

(٧) الكشاف / ١٠٢٢ ، والبحر المحيط ٨ / ٨٦ .

فالأصل – الذين – لكن المقام أقتضى الإشارة لتقوية معنى الخطاب ، وظاهر الإشارة التنبيه بـ ((الهاء)) المكرّرة التي لا تكون مع الاسم الموصول ، أريد بها شدّة الإنكار بالتكرار .

القسم السادس
التناوب بين المبهمات

لو نظر المتأمل إلى الآيات من الآية العشرين إلى الآية الثلاثين لوجد أن مدار الكلام على ((الذين في قلوبهم مّرض)) من أهل الشك والنفاق ، وكالأتي :

أ- **((وَيَقُول الذِينَ آمَنُوا لوْلا نُزِّلتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا القِتَال رَأَيْتَ الذِينَ فِي قُلوبِهِمْ مَرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ المَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنْ المَوْتِ فَأَوْلى لهُمْ))**[1].

ب- **((أُوْلئِكَ الذِينَ لعَنَهُمْ اللهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ))**[2] . جاء باسم الإشارة ((أولئك)) لتنوب عن ((هم)) التي تعود على ((الذين في قلوبهم مرض)) ، وجاز ذلك ؛ لأن اسم الإشارة ((حكمه حكم ضمير الغائب في احتياجه إلى مرجع يفسره))[3].

ج-**((إِنَّ الذِينَ ارْتَدُّوا عَلى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لهُمْ الهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّل لهُمْ وَأَمْلى لهُمْ))** [4] . لم يضمر ؛ لأنه جاء بمضمون جديد متصل بـ ((الذِينَ في قُلوبِهِم مَّرَضٌ)) .

د- **((ذَلكَ بِأَنَّهُمْ قَالوا للذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّل اللهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الأَمْرِ وَاللهُ يَعْلمُ إِسْرَارَهُمْ))**[5]. جاء باسم الإشارة ((ذلك)) إشارة إلى ارتدادهم بسبب من إملاء الشيطان وتسويله ، وجاء بالضمير (هم) ليعود إلى ((الذين أرتدّوا)) .

هـ-**((ذَلكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالهُمْ))**[6]. أعاد العبارة نفسها ((الذين في قلوبهم مّرض)) بالاسم الموصول نفسه ، وبصلته نفسها ، ولم يشر باسم الإشارة ، أو يضمر بضمير غائب (هم) ليعود إلى مدار ما فصّل من مضامين وأحوال ليشد أجزاء النصّ بتكرار هذه الجملة ، بعد أن نوّع بالمبهمات التي ذكرها ، وقد نشّط الإحساس بالتناوب بما يناسب اقتضاء الحال .

---

(١) الآية/٢٠.
(٢) الآية/٢٣.
(٣) بلاغة القرآن / ٨٤ .
(٤) الآية/٢٥.
(٥) الآية/٢٦.
(٦) الآية/٢٨.

و-((وَلَوْ نَشَاءُ لأَرَ يْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ))[1].

جاء بالضمير (هم) العائد على مفسره ((الذين في قلوبهم مّرض)) الذي لا يصلح غيره في مكانه بعد تمام ما ظهر في الأية السابقة .

القسم السابع
الأسم الموصول ، وأسم الإشارة عند المحدثين

قال الدكتور إبراهيم أنيس ((الأسماء الموصولة مثل : الذي والذين، وأسماء الإشارة مثل : هذا وتلك ، ويستعاض بمثل هذه الألفاظ عن أسماء ظاهرة في كثير من الأحيان ، غير أنها توضع جنباً إلى جنب مع ما تشير إليه من تلك الأسماء الظاهرة ... وربط النحاة هذه بالإشارة ليس في حقيقته إلا ربطاً ظاهرياً ... أما الغرض الحقيقي من استعمالها فهو الاستعاضة عن تكرار الأسماء الظاهرة ... وألفاظ الإشارة والموصولات ... ليست في الحقيقة إلا رموزاً لغوية يستعاض بها عن تكرار الأسماء الظاهرة ، وإن كان لكل منها استعمالها الخاص، وهي من العناصر اللغوية القديمة التي يتسعين بها اللغوي في مقارناته [كذا]، ويستدل بها عادة على ما تنتمي إليه اللغة من فصيلة لغوية ؛ لأنّها في غالب الأحيان عصيّة على التطور والتغير))[2].

---

(١) الآية/٣٠.

(٢) من أسرار اللغة / ٢٩١- ٢٩٣ .

ويقول الدكتور مهدي المخزومي:((أكبر الظن،أنّ لهذه الأدوات وظيفة غير ما تصوروه ؛ ذلك أنّها أدوات استخدمتها اللغة ، وهي وسائط لوضع الجمل في مواضع المفردات ... لأنّ الفعل لا يكون بلفظه وهيأته فاعلاً إلا باستخدام واسطة تصل ما قبلها بما بعدها ، وتنقل ما قبلها إلى ما بعدها ...))[١].

أقول:لم يقدم الاستاذان الفاضلان فيما ذكراه نصّاً واضحاً عن الموصول، إذ يظهر فيه تصنّع مخالفة القدماء،على الرغم من أنّهما يفيدان من أقوالهم بعبارات قريبة مثل : ((ألفاظ تربط بين الجمل))،وعند القدماء:((وصلة إلى وصف المعارف بالجمل))[٢].

أي أنّ هذه الأسماء وضعت الجمل موضع المفردات ، وليس للربط بين الجمل ربطاً محضاً كما أدعي ، حتى وإن بدا توسط الموصول بين ما يتوهم بأنهما جملتان مثل : ساعدت الذي يحترم الناس . فالجملة الثانية لا صلة لها بالجملة الأولى سوى أنّها تعرّف الموصول ، كما قال القدماء : ((معنى الموصول ما لا يتمّ حتى تصله ، بكلام بعده تصله به ليتمّ أسماً .. فالموصول وحده اسم .. ناقص الدلالة ، فاذا جئت بالصلة قيل موصول حينئذ))[٣].

وعبارة ((وهي من العناصر اللغوية القديمة التي يستعين بها اللغوي في مقارناته ... عصيّة على التطور اللغوي)) ربّما يريد منها إعادة وصف اللغة ، وأخذها من العامية كما يعرض قائلاً ((أنظر إلى قولك لصديقك : أشتريت البيت الذي رأيناه معاً في الاسبوع الماضي ، وقارن مثل هذه الجملة بما قد يجري على ألسنة الناس باللغة العاميّة ، اشتريت البيت ، البيت إياه ، اللي شفناه ويّا بعض))[٤]. ويبدو أنّ المثال العامي الذي اتخذه بإزاء الفصيح لم يرق إلى مستوى الفصيح من حيث الدلالة الدقيقة ، والأقتصاد بعدد الكلمات ، إذ زادت الأولى على الثانية بثلاث كلمات . (في الاسبوع الماضي) . وأنّ الثانية حوت الموصول ((اللي)) بدل ((الذي)) والصلة بمقابل الصلة.

وينقل هنري فليش استخدام ((((اللي)) في اللهجات الشرقية القديمة))[٥].

مما تقدم نعتقد أن المخزومي ربّما يكون أقرب إلى الدرس النحوي القديم على الرغم من قوله : ((أنّ لهذه الادوات وظيفة غير ما تصوروه)) فكيف يكون هذا وقد وقد جاء هو نفسه بعبارة القدماء بعد هذه مباشرة : ((ذلك أنّها أدوات استخدمتها اللغة وهي وسائط لوضع الجمل في مواضع المفردات)). إن هذه العبارة هي عبارة الجرجاني نفسها إذ يقول ((والموصول

(١) في النحو العربي نقد وتوجيه / ٣١٥ .

(٢) الأشباه والنظائر ٢٣٠/١.

(٣)المفصل ٢ / ٣٨٨ .

(٤) من اسرار اللغة/٢٩٢.

(٥)العربية الفصحى / ١٧٣ .

ليتوصل به إلى وصف المعارف بالجمل))[١] باختلاف يسير كما يتضح من الموازنة بين الجملتين .

الخاتمة

الأسم الموصول ، واسم الإشارة ، وضمير الغائب أسماء مبهمة ، تعريفها في غيرها ، فالموصول لا يتعرّف إلا بما سيجيء بعده فهو أشبه ما يكون بلفت الذهن إلى الذي سيأتي ، وقد جاء تكرار الاسم الموصول في السورة المباركة ، ليتوصل به إلى الجمل التي يتعرّف بها التي هي صلة الموصول ، وكان من تكرارها أن كان أحد أسماء السورة ((سورة الذين كفروا)) .

واسم الإشارة يتعرّف بالمشار إليه المشاهد في الحس ، أو العقل أو العائدية ، وفي العائدية يكون كضمير الغائب الذي لابدّ له من مفسّر يعود عليه ليزيل إبهامه .

وقد يستغنى بأحد الأسماء المبهمة عن غيره لتأدية معنى أكثر وقعاً ، وأوضح تفصيلاً ، كما في ((أولئك)) بدلاً من ((هم)) في قوله تعالى : **((أُوْلئِكَ الذِينَ لعَنَهُمْ اللهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ))**[٢] و ((هؤلاء)) بدلاً من (الذين) في قوله تعالى : **((هَاأَنْتُمْ هَؤُلاءِ تُدْعَوْنَ لتُنفِقُوا ...))**[٣]. و((هم)) بدلاً من ((الذين)) في قوله تعالى : **((وَمِنْهُمْ مَّنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ...))**[٤].

وعلى الرغم من كثرة تكرار ((الذين كفروا)) ، لكنّه هنا أراد يعود الضمير على القريب **((وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ))**[٥] ولم يرد التكرار العام ((الذين كفروا)) والدليل الأخر ما جاء بعده تكرار ((وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ)) . ولم يأت بلفظ ((الكافرين)) سوى مرة واحدة ، في قوله تعالى **((أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَللكَافِرِينَ أَمْثَالهَا))**[٦] ولم يأت بالضمير ((هم)) ؛ لأنّ عوده سيكون على ((الذين من قبلهم)) وهو لا لا يريد من الأية الاقتصار على السابقين ، بل ومن جاء بعدهم ، ولم يأت بـ ((الذين كفروا)) المكررة بدلاً من ((الكافرين)) لأجل أن لا ينصرف إلى اللاحقين وحدهم ؛ إنما أراد العموم فقال ((وللكافرين أمثالها)) أي : أولئك وهؤلاء معاً والله أعلم .

---

(١) دلائل الإعجاز / ٣٣ .
(٢) الآية/٢٣.
(٣) من الآية/٣٨.
(٤) من الآية/١٦.
(٥) من الآية/١٤.
(٦) الآية/١٠.

المصـادر والمراجـع

المصحف الشريف.

١- إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز ، بديع الزمان النورسي ، تحقيق إحسان الصالحي ، بغداد ، ١٩٨٩ م .

٢- الأشباه والنظائر ، السيوطي ، جلال الدين ، ت ٩١١ ، حيدر آباد ، ١٣١٥ هـ .

٣- إعراب القرآن ، النحاس ، أبو جعفر ، ت ٣٣٨ هـ، تحقيق د. زهير غازي زاهد ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨٥ م .

٤- اعراب القرآن المنسوب إلى الزجاج ، تحقيق إبراهيم الأبياري ، القاهرة ١٩٦٣م .

٥- أمالي ابن الحاجب ، أبو عمرو ، عثمان بن عمر، ت ٦٤٦ هـ ، تحقيق هادي حسن حمودي ، عالم الكتب ، ١٩٨٥ م .

٦- الايضاح في شرح المفصل ، ابن الحاجب ، تحقيق د. موسى بناي العليلي ، مطبعة العاني ، بغداد ، ١٩٨٢ م .

٧- البحر المحيط ، الأندلسي ، أبو حيان ، ت ٧٤٥ هـ ، مطبعة السعادة .

٨- بدائع الفوائد ، ابن قيّم الجوزية ، محمد بن أبي بكر ، ت ٧٥١ هـ ، مصر .
٩- بلاغة القرآن ، محمد الخضر حسين ، عن اسلوب عود الضمير ، أطروحة دكتوراه، موسى الشمسي ، الجامعة المستنصرية ، كلية الآداب ١٩٩٦م .
١٠- تفسير ابن كثير ((تفسير القرآن العظيم)) ابن كثير ، ت ٧٧٤ هـ ، اعتناء أحمد عبد السلام الزغبي ، بيروت ، لبنان .
١١- التفسير بالمأثور(الدر المنثور في التفسير بالمأثور) ، السيوطي ، ت ٩١١ هـ ، دار الفكر ، ١٩٨٨ م .
١٢- تفسير الجلالين ، السيوطي والمحلي ، دار الكتاب العربي ، لبنان ، بيروت.
١٣- تنوير المقباس من تفسير ابن عباس ، الفيروز أبادي ، ت ٨١٧ هـ ، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد ، القاهرة ، ١٩٦٢م .
١٤- دلائل الاعجاز ، الجرجاني ، عبد القاهر ، ت ٤٧١هـ ، تحقيق محمود محمد شاكر ، القاهرة ، ١٩٨٤م .
١٥- شرح التصريح على التوضيح ، الأزهري ، خالد ، ت ٩٠٥ هـ ، عيسى البابي الحلبي ، مصر .
١٦- شرح الرضي على الكافية ، الاستربادي ، رضي الدين ، ت ٦٨٦ هـ ، تحقيق يوسف حسن عمر ، جامعة قار يونس ، ١٩٧٨م.
١٧- شرح المفصل ، ابن يعيش ، يعيش بن علي بن يعيش ، ت ٦٤٦هـ ، المطبعة المنيرية ، مصر .
١٨- شعر ابن مفرغ الحميري،جمع وتقديم الدكتور داود سلوم مطبعة الأيمان، بغداد،١٩٦٨م.
١٩- العربية الفصحى ، هنري فليش ط٢ ، تعريب وتحقيق د. عبد الصبور شاهين ، بيروت ، ١٩٨٦م .
٢٠- في النحو العربي نقد وتوجيه ، المخزومي ، مهدي ، بيروت ، ١٩٦٤ م.
٢١- الكتاب ، سيبويه ، أبو بشر عمرو بن عثمان ، ت ١٨٠ هـ ، تحقيق عبد السلام هارون ، القاهرة ، ط٣ ، ١٩٨٣ م.
٢٢- الكشاف ، الزمخشري ، جار الله محمود بن عمر ، ت ٥٣٨ هـ ، تحقيق خليل مأمون شيحا ، دار المعرفة ، بيروت ، ٢٠٠٢م.
٢٣- مجمع البيان ، الطبرسي ، الحسن بن فضل ، ت ٥٤٨هـ ، مؤسسة آل البيت ، طهران ، ١٩٩٧م .

٢٤- معاني القرآن ، الفراء ، أبو زكريا ، ت ٢٠٧ هـ ، تحقيق محمد علي النجار ، ط٢ ، عالم الكتب ، ١٩٨٠ م .
٢٥- معاني النحو ، السامرائي ، فاضل ، بغداد ، ١٩٨٧م .
٢٦- مغني اللبيب عن كتب الاعاريب ، ابن هشام ، ت ٧٦١هـ ، تحقيق مازن المبارك ، ومحمد علي حمد الله ، دار الفكر ، ١٩٧٩م .
٢٧- المفصل في العربية ، الزمخشري ، تحقيق أميل يعقوب ، بيروت ، ٢٠٠١م.
٢٨- المقتضب ، المبرد ، ابو العباس محمد بن يزيد ، ت ٢٨٥ هـ ، تحقيق عبد الخالق عضيمة ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٩٦٣ م.
٢٩- من أسرار اللغة ، ابراهيم أنيس ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٧٥م .
٣٠- النكت في كتاب سيبويه ، الأعلم الشنتمري ، محمد بن يوسف ، ت ٤٧٦هـ، تحقيق د. زهير عبد المحسن سلطان ، الكويت، ١٩٨٧م .